(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله , أما بعد :

قال الله تعالى في سورة الزلزلة {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ يره * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة 7-8] هاتان الآيتان الكريمتان: من جوامع المعاني؛ ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْحُمُرِ [أي: الزكاة فيها] قَالَ: ((مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلاَّ هَذِهِ الآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.

وتأمل كلام السلف الصالح حول هذه الآية: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "أَحْكَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.

قَالَ مُقَاتِلٌ رحمه الله: "نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَجُلَيْنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ} كَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِيهِ السَّائِلُ فَيَسْتَقِلُّ أَنْ يُعْطِيَهُ التَّمْرَةَ وَالْكِسْرَةَ وَالْجَوْزَةَ وَنَحْوَهَا، يَقُولُ: مَا هَذَا بِشَيْءٍ إِنَّمَا نُؤْجَرُ عَلَى مَا نُعْطِي وَنَحْنُ نُحِبُّهُ، وَكَانَ الْآخَرُ يَتَهَاوَنُ بِالذَّنْبِ الْيَسِيرِ كَالْكِذْبَةِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّظْرَةِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ".

* وهذه الآية: تدريب لأهل الخير على عدم استصغار الأعمال اليسيرة؛ فمهما قلَّت وصغُرت فإن لها مكانة عظيمة عند الله تعالى؛ فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، ولو بكلمة طيبة)) [البخاري]، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: ((يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ)). [رواه أحمد].

* ويقرر النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاني في عدم استصغار الأعمال فإنها ربما تكون سببًا في دخول الجنة؛ فقد جاءت أحاديث كثيرة مؤكدة لهذا المعنى ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تحقِرَنَّ مِنَ المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أخاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ)) [رواه أحمد].

•فإن العمل اليسير يعظم أجره عند الله تعالى ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)). [البخاري ومسلم].

•ولقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى؛ فلم يضيّعوا أي بابٍ من أبواب الخير؛ ولو فتَّشتَ في حياتك اليومية: لوجدت العشرات من الأعمال اليسيرة التي تمر عليك مرور الكرام بدون اغتنامها.! فهذا أذى في الطريق؛ ((وإماطة الأذى عن الطريق صدقة)) وهذا أخوك المسلم تلقاه بوجه عبوس؛ ((وتبسمك في وجه أخيك صدقة)) وهذه كلمةٌ طيبةٌ، وهذا متاع تحمله مع أخيك المسلم، وهذه نصيحة، وهذه جنازة تسمع بها والقيراط مثل جبل أحد، وهذا إفشاء سلامٍ على من عرفت ومن لم تعرف، وهذا تسبيحة، وهذه آية من كتاب الله عز وجل كم فيها من الحسنات ؟!

وفي المقابل (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) يجب على المسلم ألا يَحْتَقِرَ قليل الشر؛ فَالْإِثْمُ الصَّغِيرُ فِي عَيْنِ صَاحِبِهِ أَعْظَمُ مِنَ الْجِبَالِ عند الله تعالى يوم القيامة ؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ.)) [رواه أحمد]

وتأمل: إلى خطورة هذه المحقرات التي يستهين بها الناس يوم القيامة؛ حتى لو كانت كلمة واحدة ؛ ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالى مَا يُلقِي لهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّه بهَا دَرَجاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعالى لا يُلْقي لهَا بَالًا يهوي بهَا في جَهَنَّم.)) [رواه البخاري.]

ولما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا (تعني قصيرة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لقد قُلْتِ كلِمَة لو مُزِجَت بماء البحر لَمَزَجَتْهُ!)) [رواه أبو داود].

ولذلك تربى الصحابة على مثل هذه المعاني في عدم استصغار الذنب؛ في صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الموبِقَاتِ)، يَعْنِي المُهْلِكَاتِ. وعن بلال بن سعد رحمه الله قال: (لا تنظر إلى صِغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عِظَم مَن عصيت).

فاعلم يا عبد الله، أنّ مثقال الذرة من الخير في ميزانك يتنامى، فلا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تطلق أخاك بوجه طلق، واعلم كذلك أن مثقال الذرة من الشر مرصود في حسابك، فاحذر من

التساهل فيه واحتقاره، فإن الذنب ولو كان صغيرًا إذا احتُقِرَ من صاحبه، وتسوهل فيه يتعاظم ويكبر حتى يكون أمثال الجبال .

نسأل الله العظيم أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا

كتبها الشيخ /محمود جوده سالم – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.